194527 - كيف استدار الصحابة في صلاتهم عندما بلغهم أن القبلة قد تغيرت ؟

السؤال

عندي إشكال بسيط وهو كنت في المدينة وزرت مسجد القبلتين ، وكان هناك أخ يشرح لنا كيف تحول الصحابة عندما بلغهم أن القبلة تحولت ، ومثل لنا طريقة استدارة الإمام وأنه شق صفوف المصلين واستداروا هم أيضاً . السؤال هو : بعد أن غير الإمام قبلته واستدار ، كيف كان وضع النساء بالخلف ؟ هل استداروا أيضاً أم أنهم قطعوا صلاتهم أم أنهم بقوا على وضعهم ؟ وهل أصلاً ثبت قصة صحيحة عن طريقة التحول للقبلة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ثبت أصلها في القرآن ، كما أنها ثبتت بشيء من التفصيل في السنة النبوية .

قال تعالى : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ (143)) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) سورة البقرة : 142 - 144 .

وروى البخاري (41) عن البراء بن عازبٍ : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ ، أَوْ قَالَ أَحْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا وُلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ .

وروى مسلم (527) عَنْ أَنَسٍ : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَنَزَلَتْ : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) البقرة/ 144 ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَقَدْ صَلَّوْا رُكْعَةً ، فَنَادَى : أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حَوَّلَتْ ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ " .

وروى مسلم (526) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : " بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكُعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكُعْبَةِ " .

ثانياً :

أما كيفية تحول الصحابة رضي الله عنهم – الذين بلغهم أن القبلة قد تحولت – في أثناء الصلاة ، فكان ذلك : بأن استدار الإمام ومن معهم من المأمومين من مكانهم على شكل نصف دائرة ، بحيث أصبح الإمام في مؤخرة المسجد من جهة الكعبة ، والرجال خلفه ، والنساء في مكان الرجل .

ولا يلزم من قوله : (استداروا) و (مالوا) في الأحاديث السابقة : أن يكون هناك شق للصفوف من قبل الإمام ، بل يحتمل أن ما حصل هو مجرد استداره .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وَوَقَعَ بَيَانُ كَيْفِيَّةِ التَّحْوُلِ فِي حَدِيثِ تُؤَيَّلَةٌ بِنْتُ أُسْلَمَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَهُ قَرِيبًا وَقَالَتْ فِيهِ : " فَتَحَوَّلَ النِّسَاءُ مَكَانَ الرِّجَالِ وَالرِّجَالُ مَكَانَ النِّسَاءِ ، فَصَلَّيْنَا السَّجْدَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ " . قُلْتُ : وَتَصْوِيرُهُ أَنَّ الْإِمَامَ تَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ إِلَى مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَقْبَلَ الْكُعْبَةَ اسْتَدْبَرَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَهُوَ لَوْ دَارَ كَمَا هُوَ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَكُنْ خَلْفَهُ مَكَانَ يَسَعَ الصُّفُوفِ ، وَلَمَّا تَحَوَّلَ الْإِمَامُ تَحَوَّلَتِ الرِّجَالُ حَتَّى صَارُوا خَلْفَهُ ، وَتَحَوَّلَتِ النِّسَاءُ حَتَّى صِرْنَ خَلْفَ الرِّجَالِ ، وَهَذَا يَسْتَدْعِي عَمَلًا كَثِيرًا فِي الصَّلَاةِ ، فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَقَعَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ ، كَمَا كَانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أُغْتَفِرَ الْعَمَلُ الْمَذْكُورُ مِنْ أَجْلِ الْمَصْلَحَةِ الْمَذْكُورَةِ ، أَوْ لَمْ تَتَوَالَ الْخَطَى عِنْدَ التَّحْوِيلِ بَلْ وَقَعَتْ مُفَرَّقَةً ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى من " فتح الباري " (507 – 1/506) – ترقيم الشاملة – . وينظر : تفسير ابن كثير (1/167 ، 470) .

ثالثاً :

زيارة الأماكن أو المواضع السبعة كما يطلق عليها في المدينة النبوية ، بنية التعبد وتحصيل الأجر ، ليس بمشروع .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : " أما المساجد السبعة ومسجد القبلتين وغيرها من المواضع التي يذكر بعض المؤلفين في المناسك زيارتها ، فلا أصل لذلك ولا دليل عليه ، والمشروع للمؤمن دائماً هو الإتيان دون الابتداع " . انتهى من " مجموع فتاوى ابن باز " (6/321) .

وينظر للفائدة جواب السؤال رقم : (11669) .

والله أعلم .